مشكلات التحقق من مجتمع قمران

يقبل غالبية الباحثين اليوم فى العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين بالنتيجة شبه القاطعة التى خرجنا بها وهى أن مجتمع قمران هم طائفة أو جماعة الإيسينيين الأصليين، ويستبعدون أية طائفة أخرى أو فروعها من أن تكون مجتمع قمران وصاحبة المخطوطات التى اكتشفت فى كهوف البحر الميت. وكما ألمعت مرارا من قبل فإن معلوماتنا عن الإيسينيين إنما تأتينا من الأوصاف التى أدلى بها معاصروهم الثلاثة: فيلو وجوزيفوس وبلينى الأكبر، وكذلك من واقع المخطوطات التى أغلقتها كهوف البحر الميت. وكما رأينا من قبل فإن وجوه التطابق بين الإيسينيين ومجتمع قمران هى أكثر بكثير من وجوه التنافر والاختلاف. وفى رأيى أن وجوه الاختلاف إنما تتأتى من فعل التطور الزمانى وربما من وجود عدة شرائح من الإيسينيين.

ويلخص الباحثون مشكلات التحقق من مجتمع قمران فى النقاط البسيطة الآتية:

١- أن الإيسينيين لم يسموا أنفسهم فلا أثر لهذا الأسم فى أى من المخطوطات التى عثر عليها فى كهوف البحر الميت بل جاءت التسمية من مصادر خارجية وربما تكون صفة وليس أسمًا.

٢- ليس لدينا كتابات أصلية كتبها الإيسينيون عن أنفسهم وكل المعلومات التى وصلتنا عنهم معلومات من مصادر ثانوية حتى ولو كانت معاصرة وهى كما أشرت من وضع فيلو، بلينى الأكبر، جوزيفوس وقد عاش ثلاثتهم حول القرن الأول الميلادى، وحيث كان مجتمع قمران ما يزال موجودا ويدرس وينسخ المخطوطات وكان الإيسينيون فى فترة انتعاش وازدهار. ومن الجدير بالذكر أن فيلو كما ألمعت سابقا كان فيلسوفا سكندريا ولد فى حدود سنة ٣٠ق.م فى

الاسكندرية المصرية وتوفى فى حدود ٤٥م وزار يهوذا فى شبابه وربما كان على صلة بالإيسنيين الذين كتب عنهم كتابة خبير فى كتابه: Quod omnis probus liber فى نحو ٢٠م (وهو فى سن الخمسين). أما بلينى الأكبر (٢٣-٧٩م) فقد كان مؤرخا وضابطًا فى قوات تيتوس فى حربه ضد اليهود؛ وقد وصف يهوذا والأقطار المجاورة وأشار إلى "الإيسينيين" فى كتابه "التاريخ الطبيعى: Historia Naturalis الشهير الذى كتبه فى حدود ٧٠م. أماجوزيفوس الجنرال والمؤرخ فقد ولد سنة ٣٧ أو ٣٨م وتوفى بعد ١٠٠م وقد تحدر من أسرة أرستقراطية وقد تحدث عن نفسه فقال إنه فى شبابه كان دارسا متعمقًا وجادًا دؤوبًا للقانون اليهودى (الشريعة) والتراث اليهودى بما فى ذلك عقائد الفارسيين والصدوقيين والإيسينيين. وطبقًا لما قاله عن نفسه أنه قضى ثلاث سنوات فى الصحراء اليهودية مع عابد متنسك ربما إيسينى، أخذ عنه أصول التنسك والزهد، وفى سن التاسعة عشرة التحق بطائفة الفارسيين ثم دخل فترة الاختبار عند الإيسينيين ولم يكمل المشوار معهم دون إبداء الأسباب وبين سنتى ٦٩-٩٤ كتب كتابيه المترجمين إلى الإنجليزية: Antiquities of the Jews, Wars of the Jews.

٣- أن الإيسينيين لم يذكروا البتة فى العهد القديم كما أغفلتهم كتابات الربابنة إلا قليلاً. وكان العهد القديم وجوزيفوس وكتابات الربابنة تتحدث عن الفارسيين والصدوقيين باعتبارهما الطائفتين الكبريين فى اليهودية.

كانت تلك هى المشكلات الأساسية التى واجهت الباحثين فى التعرف الدقيق والسهل على مجتمع قمران. ومن ثم فإننا مضطرون إلى الدخول فى بعض التفاصيل لحل تلك المشكلات والتوصل إلى المجتمع الأقرب لطائفة قمران.

هناك العديد جدًا من العوامل التى تدعونا إلى استبعاد الصدوقيين لمجتمع وطائفة قمران صاحبة المخطوطات والتى يمكن جدولتها على النحو الآتى:

١- يرى الباحثون المدققون أن الصدوقيين لم يكونوا حزبا أو طائفة بل كانوا فى واقع الأمر طبقة اجتماعية ودينية. لقد كانوا بصفة عامة الارستقراطية الغنية وكان كهنة المعبد وقساوسته فى الأعم الأغلب يجيئون من بينهم. ورغم أنهم لم يكونوا

طائفة أو حزبًا إلا أنهم كانوا يتكاتفون معًا ويقفون موقفًا موحدا فى القضايا السياسية والدينية كما تفعل الطبقات الاجتماعية عادة.

٢- لا يمكن أن يكون مجتمع قمران هو من بين هذه الجماعة أو يرتبط بها لأننا كما رأينا من قبل نقرأ فى (شرح حبقوق) إدانة قوية ونقدًا لاذعًا لكهنة وقساوسة أورشليم القدس وسلوكا وموقعا خاصا من المعبد.

٣- كان هناك رفض قاطع من جانب الصدوقيين للعقائد الجديدة التى ظهرت وموقفها من البعث والنشور والملائكة وغير ذلك من المعتقدات التى اعتنقتها جماعة قمران.

٤- كانت جماعة الصدوقيين تقبل فقط (أسفار موسى) باعتبارها الكتاب المقدس وكانت تفسر الشريعة (القانون) تفسيرا حرفيا صارما ورفضت نظام الفارسيين الذين يأخذون بالحديث الشفوى التقليدى فى تفسير معانى القانون (الشريعة).

٥- يرى بعض الباحثين أن اسم (الصدوقيين) ربما اشتق من زادوك Zadok (زادوكيون). ومن المعروف أن زادوك كان الكاهن الأعظم فى عهد سيدنا داود عليه السلام وسليمان عليه السلام. ولكننا نرى أن الاسم مشتق من الصدق والتصديق والمصدقين. وهناك من يطلق عليهم بالفعل اسم (الزادوكيون) حيث يعتبرون من سلالة زادوك وخلفائه.

٦- عندما نشرت مخطوطة دمشق التى مجدت الصدوقيين إلى حد كبير وكشفت عن أهميتهم، تنبه الباحثون لهذه الجماعة وأخذوا يفكرون فى وجود علاقة أو رابطة من نوع ما بين طائفة البحر الميت والصدوقيين، إلا أن اجتهادات هؤلاء الباحثين خرجت بنتائج قاطعة بأن جماعة الصدوقيين لا علاقة لها بمجتمع قمران؛ ومن ثم استبعدوا تمامًا من الصورة. يضاف إلى ذلك أن طائفة البحر الميت كانت تجل الأنبياء وأسفارهم بينما الصدوقيون لم يقبلوا بحال من الأحوال أسفار الأنبياء بين الكتابات المقدسة.

٧- ولقد ذهب الباحثون فى تفسير مصطلح (أبناء زادوك) الوارد فى المخطوطات

إلى أنه خلال الأزمة المكابية التى وقعت فى القرن الثانى قبل الميلاد كان هناك عدد من القساوسة المكرسين أطلقوا على أنفسهم (أبناء زادوك) لكى يؤكدوا على حجية انتمائهم وارتباطهم بالعقيدة الحقيقية التقليدية ولم يكونوا فى حقيقة الأمر ينتمون إلى زادوك مثل (معاهدو دمشق). ولكن على الجانب الأخر كان هناك بالفعل قسم من أبناء زادوك شعروا بأنهم حققوا مستوى أعلى من المثالية الدينية ففصلوا أنفسهم عن الآخرين وكونوا طائفة (الميثاق الجديد).

٨- لقد شكك الباحثون فى وجود أية علاقة بين الجماعة الخارجة عن الزادوكية وجماعة قمران لأن قساوسة قمران عندما أطلقوا على أنفسهم (أبناء زادوك) إنما كانوا يريدون استرداد لقب أسيء استخدامه من جانب الصدوقيين الذين انتحلوه.

ولقد رفض بعض الباحثين أن يكون كل من الإيسينيين ومجتمع قمران شريحة أو فرعا من فروع الفارسيين؛ وحيث كان الفارسيون يقبلون بعقيدة الاعتراف بوجود الملائكة وعقيدة البعث والنشور وكانوا يقبلون بكتابات الأنبياء وغيرها من الكتابات على العكس من الصدوقيين الذين لم يقبلوا بغير القانون المكتوب (شريعة موسى) ورفضوا (القانون الشفوى) الذى طوره الفارسيون.

وهناك قلة من الباحثين ألمحت إلى أن معاهدى قمران إن هم إلا الحاسديون؛ ولكن مصطلح الحاسديين نفسه يشير ويعنى (المحافظين) التقليديين المكرسين من اليهود ولا ينطبق على طائفة بعينها.

وعلى الجانب الآخر كانت هناك آراء على قلتها وقلة حيلتها وقرائنها تربط مجتمع قمران بطوائف وجماعات مختلفة أخرى مثل: السامريون؛ الإبيونيون، القراءون؛ الزيلوت، المغاربون (أهل الكهف)... وسوف نعرض فى عجالة لكل من هذه الجماعات والطوائف.

أما من يقول بأن جماعة قمران إن هم إلا السامريون، فلربما دعاهم إلى هذا الظن قطع المخطوطات التى عثر عليها فى كهوف قمران والمكتوبة بالخط العبرى القديم والذى رأوا فيه امتدادًا طبيعيا لخط السامريين وربما زاد من ظنهم تلك اللهجة

السامرية التى كتبت بها لغة تلك القطع المخطوطة، كما كانت هناك وجوه إتفاق بين العقائد والممارسات الدينية بين السامريين ومجتمع قمران. ولقد دعت هذه الحقائق الباحثين وعلى رأسهم الباحث جون بومان إلى القيام بمقارنات عميقة بين السامريين من جهة ومتنسكى قمران من الجهة الثانية وخلصوا إلى عدم وجود أية علاقة بين الاثنين وألمحوا إلى وجود وجوه اتفاق كثيرة بين عقائد وممارسات السامريين وتلك الخاصة بأهل مجتمع قمران: فالسامريون يرون فى أنفسهم (أبناء النور) ويطلقون على رئيس وزعيم قوى الشر "بليال" وهم يبحثون عنه وينتظرون المنقذ المخلص المسمى عندهم (تاهب) والذى يقابل "المسيح إسرائيل" المذكور فى مخطوطات قمران. والكاهن الأعلى عند السامريين هو الممسوح بزيت البركة (مسيح قارون). وقد خلص بومان إلى أن تلك العقائد هى بقايا تعاليم الطوائف السامرية القديمة وأن وجوه الاتفاق والتشابه بينها وبين طائفة قمران لا تؤسس أية علاقة مباشرة بينهما وإنما تفسر فقط على ضوء الخلفيات المشتركة وحيث أن كليهما ينبع من نفس موقف الاختمار والتآمل؛ ولقد ذكرت بعض المصادر أن ثمة فرعا سامريا منبثقًا عن الإيسينيين.

وهناك من ربط بين جماعة قمران والإبيونيين وهم طائفة اليهود ـ المسيحيين على أساس أن تردد كلمة (إبيورى) كثيرا فى مخطوطات البحر الميت والتى تعنى حرفيًا (فقير) تبرهن وتدل على أن أعضاء طائفة قمران كانوا من الأبيوريين. ومن المعروف أن الأبيوريين كانوا طائفة يهودية – مسيحية تكونت مباشرة بعد صلب المسيح ومن المعروف عنهم أنهم كانوا يهودا فى كل مبادئهم وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم فيما عدا عقيدة واحدة هى اعتقادهم فى أن عيسى هو المسيح. ويرى كثير من الباحثين أن هذه النظرية غير صحيحة على أساس الزمن، ذلك أن المخطوطات بوضعها الذى وجدت عليه تعنى أن الطائفة كانت موجودة ومنظمة منذ زمن أقدم من زمن صلب المسيح وجماعة الابيوريين تكونت بعد صلب المسيح. وقد دلت القرائن الأثرية على أن سنة ٧٠م هى أخر سنة محتملة لنسخ آخر المخطوطات، كما تصر القرائن الباليوجرافية على أن تؤرخ أقدم المخطوطات بتاريخ مبكر جدًا عن تلك السنة. وإن كان ذلك كله لا ينفى نفيًا قاطعًا وجود علاقة بين طائفة قمران

والأبيونيين وحيث توفر بعض الباحثين وعلى رأسهم أ. كولمان الذى توفر على دراسة العلاقة بين نصوص قمران والنصوص المسيحية الباكرة المعروفة باسم كتابات كليمنتاين المزورة والتى يعتقد أنها ترجع إلى الإبيونيين وقد وجد كولمان فروقا ذات بال بين المجموعتين فالقسية والقساوسة يوضعون فى مرتبة عالية ويمجدون لدى طائفة قمران البحر الميت، بينما الإبيونيون يرفضونهم رفضا تامًا. ولقد كان الاعتراض على المعبد لدى الإيسينيين وطائفة قمران قد اتخذ شكلاً أكثر حدة عند الأبيونيين فى كتابات كليمنتاين المزورة. وكان الإبيونيون يقفون من العهد القديم موقفا حادًا وهو ما لا يوجد عند الإيسينيين. ولكن على الجانب الآخر وجد كولمان بعض وجوه الاتفاق بين الطائفتين فكلتاهما تمارس نفس الشعائر وتعيش نفس أساليب الحياة الدينية ويلتقون فى بعض نقاط اللاهوت، وقد خلص أ. كولمان إلى أن العلاقة بين الطائفتين وثيقة وبحيث تفسر على ضوء أن الإبيونيين فقط حافظوا على ملامح المسيحية البدائية التى نبعث بداية من اليهودية الطائفية. وهناك يقينا تأثير مباشر متأخر من الطوائف اليهودية وخاصة الإيسينيين على اليهود المسيحيين. ومن المتفق عليه أن مجتمع قمران كان قد تم تدميره فى الحرب مع الرومان ٦٦ – ٧٠م وكان هذا هو نفس الوقت الذى تركت فيه جماعة اليهود – المسيحيين أورشليم القدس وتشتت فى أنحاء متفرقة من الأردن ومن ثم لا يمكن أن يكونوا هم أعضاء طائفة قمران. ويرى كولمان فى النهاية أن شتات طائفة قمران ربما تكون قد لحقت ببقايا الإبيونيين وأن وجوه الإتفاق والاختلاف بينهما ربما تعود إلى هذا التشتت.

ونحن نتعجب حقيقة من مجرد التفكير فى جعل طائفة (القرائين) هم مجتمع قمران، وحيث قالت قلة قليلة من الباحثين بهذا الرأى. هذه الطائفة لابد وأن تستبعد بل هى أبعد ما تكون عن أى صلة بمجتمع قمران على الأقل فيما تقول به القرائن الأثرية ذلك أن حركة القرائين هذه قد تبلورت فى مطالع العصور الوسطى فى الجزء الشرقى من الإمبراطورية الإسلامية وقد رفضت الاعتراف بالشروح والتفاسير التقليدية التى قام بها الربابنة ولم يعترفوا إلا بما ورد فى الكتابات المقدسة. والباحثون الذين ذهبوا إلى أن القرائين هم أصحاب مخطوطات البحر الميت لا بد

بالضرورة وأن يؤرخوها بتاريخ متأخر يتناسب مع تاريخ ظهور هذه الحركة. وفى هذا نسف لكل القرائن التاريخية والأثرية والباليوجرافية والدينية المحيطة بمخطوطات البحر الميت. وبينما يرى حتى بسطاء الباحثين استحالة الربط بين مخطوطات البحر الميت وبين طائفة القرائين فى العصور الوسطى يرى بعض الباحثين علاقة ما بين مخطوطات البحر الميت وقرائنها أو نظيراتها التى أنتجها القراؤون والظروف التى أحاطت بمخطوطات طائفة القرائين وهذا جائز ومفهوم. ذلك أنه كان قد عثر فى القرن التاسع الميلادى على مجموعة من المخطوطات فى أحد الكهوف قرب جريشو (جرش) وحصل عليها بنيامين النهاوندى وهو زعيم القرائين الفرس فى القرن التاسع الميلادى ودرسها واستخرج منها (اللاهوت القرائى) الذى بنى على أسس جديدة تعتمد اعتمادًا رئيسيا على لاهوت جماعة قمران. ويرى بعض الباحثين أيضًا أن مخطوطة دمشق التى وجدت فى جينزة مصر العتيقة (القاهرة القديمة) كانت نسخًا من مخطوطات أقدم وجدت فى نفس الكهف فى ذلك الوقت. ومن ثم يفترض هؤلاء الباحثون أن مخطوطة دمشق قد وضعت أى كتبت تحت تأثير من القرائين، إلا أن هناك رأيا مخالفًا يقول بأن كتابات القرائين هى التى تأثرت بوثيقة دمشق وغيرها من المخطوطات التى وجدت فى أحد الكهوف بالقرب من جريشو فى نحو سنة ٨٠٠م. ومما يعضد العلاقة التاريخية بين طائفة القرائين وطائفة قمران أننا عثرنا على قطع من مخطوطة دمشق فى كهوف قمران.

وقد رفض ثقاة الباحثين أيضا أن يكون الزيلوت هم مجتمع قمران إذ من المعروف أن حركة الزيلوت قد تأسست سنة ٦م على يد زادوك الفارسى (أحد الفارسيين) وجوداس من الجليل، وربما يكون بعض الرجال من الجليل؛ وربما يكون بعض الرجال من مجتمع قمران قد اتحد مع الزيلوت فى العقد الأخير قبل هدم المعبد. ولكن من المتفق عليه أن مجتمع مخطوطات البحر الميت هو أقدم بكثير من حركة الزيلوت والتى قام بها زادوك وجوداس.

ومن جهة أخرى رفض ثقاة الباحثين كذلك أن يكون (المغاريون) هم الطائفة التى عاشت فى قمران وكتبوا المخطوطات التى عثر عليها فى كهوف البحر الميت،

لأن المغاربين كطائفة لم تظهر إلا قبيل المسيحية بقليل؛ وإن كان هؤلاء المغاربون هم فعلا مجتمع قمران على ما ذهب إليه باحثان كبيران مثل بارتليمى ودى قوكس فأنا أرى أن المغاربين هو أسم آخر أو بالأحرى صفة أخرى أطلقت على الإيسينيين قبل الحقبة المسيحية لأن كتبهم وجدت فى المغارة أى الكهف.

وبعبد استبعاد كل تلك الطوائف من أن تكون هى طائفة قمران وإن كانت لها بها صلة تبقى المقارنة بين طائفة الإيسينيين وطائفة قمران والمقابلة بينهما. وبداية لقد أقر الباحثون بوجود وجوه اختلاف عديدة بين طائفة الإيسينيين وطائفة قمران ولكن لا بد من التأكيد على نقطة هامة وهى أنه كانت هناك فرق عدة من الإيسينيين وما يصدق على إحداها قد لا يصدق على الأخريات وأن الخطوط العامة العريضة واحدة وربما كانت الاختلافات فقط فى التفاصيل. لقد وضعنا أيدينا على ثلاثة فروع مختلفة من الإيسينيين:

١- المتبتلون الأعزبون الذين عاشوا فى قمران.

٢- المتزوجون الإيسينيون الذين عاشوا فى القرى اليهودية المنعزلة فى جنوبى سوريا.

٣- النطاسيون أو المتنسكون الزهاد اليهود المصريون الذين عاشوا فى ضواحى الاسكندرية (مريوط) والذين وصفهم فيلو وكذلك يوسبيوس فى (التاريخ الكنسى) Ecclesiastical History والذى اعتقد أنهم فصيل مصرى من الإيسينيين الذين عاشوا فى محيط الاسكندرية والذين كما سنرى عاش كل منهم فى بيت مستقل وعاش حياة العزوبة والزهد، وقد تركوا ثرواتهم وملكياتهم ووهبوا أنفسهم كلية للصلاة ولا يلتقون إلا فى أيام السبوت.

وكما أسلفت ربما جاءت الاختلافات بحكم التطور الزمنى للطائفة وتغير الرؤساء واختلاف الظروف وعلى سبيل المثال النزعة العسكرية الموجودة فى "مخطوطة الحرب" على عكس النزعة السلمية التى وصفها فيلو فى الإيسينيين.

ويعتقد ج. فيرميز أن حركة الإيسينيين قد مرت بثلاث مراحل تطورية هى:

١- مرحلة دمشق التى أسفرت عن الاضطراب فى رتب القسية اليهودية والتى

اتسمت بالفساد والافتقار إلى النقاء والطهارة وحيث انعدمت الملكية العامة ولا حدث تبتل وعزوبة حيث يفترض أن يسودا.

٢- مرحلة قمران التى حدث فيها الانسلاخ التام عن جموع اليهود والانعزال وتكوين تنظيم جماعى عام ونكران حقيقى للملكية الفردية وتحقيق فعلى للتبتل والعزوبة.

٣- المرحلة النهائية فى تطور المجتمع والذى اتخذ شكله النهائى فى منتصف القرن الأول الميلادى. فى هذه المرحلة لم يحدث تغير كبير فى مجتمع قمران على النحو الذى وصفه فيلو وجوزيفوس وبلينى. هذا التغير يرجع كما أوضحت إلى عامل الزمن.

ويرى الثقاة أن تنظيم مجتمع قمران قد استغرق وقتًا طويلاً حتى يستقر ويأخذ شكله النهائى. وقد كشفت بعض قطع المخطوطات التى عثر عليها فى كهف ٤ والخاصة لـ دليل النظام ومخطوطة دمشق ومخطوطة الحرب أنه قد أدخلت عليها تعديلات وتنقيحات عديدة. وهناك إشارة فى مخطوطة دمشق إلى كثير من الأجيال، والميول والسنين فى الإقامة.

وهناك بعض التناقضات فى تقارير جوزيفوس وفيلو وبلينى الأكبر وعلى سبيل المثال فإن جوزيفوس وفيلو يصفان أساسًا مجتمعات الإيسينيين المتناثرة فى المدن والقرى فى فلسطين، وبلينى الأكبر هو وحده الذى وصف مستوطنتهم غرب البحر الميت. ويفسر عدم ذكر (معلم الاستقامة) و(الميثاق الجديد) عند كل من فيلو وجوزيفوس بأن (معلم الاستقامة) قد أسس جماعة منشقة بين الإيسينيين والحقيقة أن تقارير فيلو وجوزيفوس وبلينى الأكبر تقودنا كلها إلى الاعتقاد بأن الإيسينيين إن هم إلا مجتمع قمران بصرف النظر عن الإيسينيين الذين عاشوا فى مدن وقرى فلسطين. وأن هؤلاء الإيسينيين الذين انعزلوا فى قمران هم أصحاب مخطوطات البحر الميت.

ويمكن تلخيص تقارير هؤلاء المؤلفين الثلاثة فى خطوطها العريضة على النحو الآتى:

لقد كانت المخطوطات مخبوءة فى نفس المنطقة التى اتخذها الإيسينيون مقرًا لهم وحيث أن فيلو يحدد مكان المستوطنة الرئيسية للإيسينيين بالقرب من البحر الميت. والإيسينيون وطائفة قمران المزعومة بينهما تشابه فى التنظيم وقواعد الممارسة ذلك أن تصرفات وأفكار كليهما مستمدة من (قانون موسى) وكان أكثر "أرثوذكسية" فى تطبيق قواعد التوراة وكانت كلتا الطائفتين تتيح فترة اختبار قبل السماح بالانضمام للجماعة وفى فترة الاختبار هذه كانت هناك تكليفات محددة يمارسها المرشح وتعليمات محددة توجد له، وامتحانات بذاتها يمر بها وكانت هذه الأمور كلها متشابهة لدى الطائفتين. وكان القسم الذى يقسمه المرشح عند ترشيحه وعند قبول انضمامه للجماعة واحدا أو متشابها بين الطائفتين. وكان الأعضاء فى كلتا الطائفتين يقسمون إلى فئات: ذلك أنه فى الاجتماع العام للايسينيين كانوا يجلسون فى نظام محدد حسب العمر والرتبة، كذلك كان الجلوس فى اجتماعات مجتمع قمران يسير حسب نظام صارم محدد سلفًا؛ وكان هناك ترتيب صارم لتناول الكلمة فى الاجتماعات العامة. وكانت كلتا الطائفتين تعطى اهتمامًا بالغا للوجبة العامة. وكانت كلتا الطائفتين تحظر البصق خلال الاجتماع. وفى كلتى الطائفتين كانت قرارات الانضمام للجماعة وقواعد النظام تؤخذ جماعيًا عن طريق الأعضاء فى الاجتماعات العامة وكانت كلتا الطائفتين تفرضان عقوبات مشددة فى حالة المخالفات المختلفة. وكان الشغل الشاغل لدى الطائفتين هو تفسير ودراسة وقراءة الكتاب المقدس (القانون) سواء فى حلقات جماعية أو فرادى.

وطبقًا لما ذكره فيلو وأكدته وثائق قمران فإنه من الناحية الأخلاقية والاجتماعية كان الإيسينيون يهتمون بالأخلاق التطبيقية والعملية أكثر من تلك المنطقية والميتافيزيقية. كما كان الإيسينيون يكرسون أنفسهم للفلسفة الأخلاقية حسبما وردت فى الكتاب المقدس والتعاليم السماوية. وقد أشاد كل من فيلو وجوزيفوس باحترام شديد بالطهارة البدنية والروحية لدى طائفة الإيسينيين. لقد كان الإيسينيون جماعة عابدة متنسكة صارمة فى ممارساتها وكانت تتركز بالدرجة الأولى على كبح جماح الرغبات البدنية. وقد أكد (دليل النظام) على هذه الناحية حيث نص

على ضبط النفس والسلوك القويم. وكانت فضائل التواضع والصبر والبساطة والطاعة والأخلاص والوفاء والطهارة من بين الفضائل التى تتحلى بها أعضاء طائفة الايسينيين وكذلك طائفة قمران المزعومة. وفى كلتى الطائفتين كان هناك تراحم وتلاحم بين الأعضاء وتسامح مع الأغراب.

وفيما يتعلق بالناحية الاقتصادية للطائفتين فقد أشار كل من فيلو وجوزيفوس إلى أن الإيسينيين كانوا يعملون فى الزراعة والحرف البسيطة، كذلك كشفت مخطوطات قمران عن أن أعضاء الطائفة كانوا يعملون كذلك فى الزراعة والصناعة. وكانت كلتا الطائفتين تمارسان "الملكية العامة" لكل شيء. وقد أشار فيلو إلى أن العاملين من أعضاء طائفة الإيسينيين كانوا يتلقون أجورًا مقابل عملهم ولكنهم كانوا يضعونها فى الخزانة العامة للطائفة، وهذا يذكرنا بما ورد فى وثيقة دمشق من أن كل عامل لا بد وأن يقدم جزءًا من أجره للمشرف العام.

ومن حيث العقيدة واللاهوت كانت كلتا الطائفتين تؤمنان إيمانا قويًا لا يتزعزع بقدرة الله الكاملة باعتباره الخالق ومصدر كل كائن. وكان الإيسينيون يعتقدون فى الخلود وهو ما يتفق تمامًا مع متعقدات طائفة قمران.

أما فيما يتعلق بممارسة الطقوس والشعائر فإنه يبدو أن هناك بعض التباين وإن كنت أرجح أن مصدر هذا التباين هو عامل الزمن. لقد كان هناك تركيز من قبل الطائفتين على العبادة المتعمقة وممارسة طقوس معينة فى الأيام المقدسة وإن كانت الطقوس متباينة. وكانت كلتا الطائفتين تركزان على الصلاة الجماعية والصلاة الفردية. وكان الإيسينيون حسبما تؤكد المصادر لديهم نظام صارم للصلاة اليومية على ما أوضحت سابقًا. وكانت الصلاة الجماعية والوجبات الجماعية إجبارية لا يجوز التخلف عنهما إلا بعذر فهرى. وكانت كلتا الطائفتين تركزان على الوضوء والاغتسال والتطهر البدنى أو ما كان يسمى عند طائفة قمران بالتعميد. وقد ذكر كل من فيلو وجوزيفوس أن الأيسينيين لم يكونوا يؤمنون بتقديم الأضحيات الحيوانية، بينما مخطوطة دمشق أشارت إلى تقديم القربانات.

ويذكر جوزيفوس أنه كان لدى الإيسينيين نظام غذائى صارم بيد أن مخطوطات البحر الميت لم تتضمن أية إشارة إلى مثل هذا النظام. والحقيقة أن فيلو وجوزيفوس لم يدخلا فى تفاصيل طقوس وشعائر الأيسينيين، ربما لأنها مفهومة ومعروفة بذاتها ولم تشذ عن شعائر وطقوس بقية اليهود فهم لم يخترعوا صلاة جديدة أو عبادات جديدة. وتأسيسًا على ما سبق فإن الأيسينيين هم مجتمع قمران وأصحاب المخطوطات.

* * *